Raghib Abdelnour, "Studies in Genesis: The First Day", *Sunday School Magazine* vol. 1, no. 11 (Feb 1948), p. 19–23.

الاصحاح الاول

اليوم الاول: انطلاق النور

٣ — وقال الله ليكن نور فكان نور

ويبدأ الله الخلقة فى اليوم الأول بالنور — حتى نستطيع أن نرى بواسطة إنارة الإنجيل كل أعماله العجيبة والجليلة — قد أمر الله النور بالانطلاق كأنه كان مقيداً ففك قيده وبذلك أخذت هذه الظلمة التى أحاطت بالأرض أن تتبدد . وهذا الإنطلاق الذى أمره الرب كان لكى نستفيد فقط . لأن الكتاب لما قال « وعلى وجه الغمر ظلمة » — لم يكن يعنى غير الأرض لذلك لم يكن مايمنع أن تكون بقية المخلوقات « السموات » مضاءة . والقول ليكن نور — كما تفيد العبارة الأصلية — تعنى إطلاق سراح سجين ، فهى ليست لتخلق النور ، بل ليظهر النور على الأرض التى غمرتها المياه والظلمة .

ذلك لأن كل الكواكب التى خلقت وعبر عنها بالكلمة « السموات » هي أجسام مضيئة ومنيرة ، بل حتى الأرض ذاتها قبل أن تتجمد كانت كتلة نارية ملتهبة . ثم أخذت قشرتها تتجمد شيئاً فشيئاً ، فأصبحت كتلة مظلمة تحتاج إلى الإنارة . وهذه الأرض ، لما كانت خربة وخالية ، وحديثة الإنفصال من المجموعة الشمسية ، وأخذت قشرتها فى التصلب كانت درجة حرارتها مرتفعة ، إلى حد ما ، للدرجة أن المياه التى كانت تكسوها من كل جانب كانت فى تبخر سريع وهذه بدورها تكون غيوما كثيفة ، وهذه الغيوم ما كان يمكن أن تنجلى فيصفو الجو لأن كمية الأبخرة المتصاعدة كانت كثيرة . ونستطيع أن نتصور هذا لو قارنا هذه الحالة بحالة بعض المناطق الباردة ؛ حيث تمضي أسابيع كاملة لا ترى فيها الشمس . هذه صورة مصغرة جداً لما تستطيعه الغيوم الكثيفة من حجب أشعة الأنوار .

ولكن لما أمر الله النور بالإنطلاق — أى أنه أوجد له بعض المنافذ إلى الأرض ، أصبحت درجة حرارة الأرض أخف من ذى قبل . وإن كان هذا أيضاً لا يعنى تمام تصلب قشرتها ، إنما هدأت الحالة بعض الشىء وجاءت فترات صحا فيها الجو ، فظهر النور على الأرض ، لذلك

كان التعبير الإلهى « ليكن نور » أو « لينطلق نور » فانطلق نور .

فى الآيات السابقة يتكلم الوحى عن أعمال الله فى صيغة الماضى « خلق السموات والأرض » وهنا يذكر الوحى نص الأمر الإلهى « ليكن نور » ، ومما لايستبعد أن تكون خلقة السموات والأرض بنفس الطريقة « لتكن السموات والأرض » من العدم . . . . وبذلك يكون كل شىء قد تم بسلطان إلهنا المطلق . ولكن هل معنى ذلك ، أنه لكى تتم عملية الخلق . ينبغى النطق بكامل الأحرف والصوت المسموع ؟ .

بالتأكيد كلا ، بل يكفى أن يعلن الله إرادته فتتم كل الأشياء طبق إرادته . . إنما هذه صيغة أريد بها التعبير عن قوة الله الآمرة واليه يرجع الفضل فى إيجاد هذا النور وتلك المخلوقات وخضوعا لهذا الأمر ، خضوعاً تاماً وشاملا ، ظهر النور على الأرض ، كما سبق للسموات والأرض أن ظهرت فى الوجود وكل هذه المخلوقات فى المادة والشكل قد خلقت كما أرادها الله لا أكثر ولا أقل . . .

وقد كانت هذه المخلوقات لأنه أرادها ـ لكن متى تم كيانها ـ فهل بمجرد أن أمر خلقت أم انصرم بعض الوقت بين الأمر والتنفيذ ؟ . . فى الواقع إن ربنا وإلهنا لا يحتاج إلى وقت حتى تتم على يديه عملية الخلق ، ولكن إن توسط وقت بين إعلان إرادة الله وتتميم إرادته ـ فهذا يعنى أن الله قد عين بالضبط الزمن بالساعة والدقيقة والثانية وأجزاء أجزاء الثانية ، الذى تتم فيه أوامره طبق إرادته التى لا ترد .

وقد كان النور أول المخلوقات ، فى أول أيام الخلقة . وقد خلقه لكى يكون الطريق أمامنا مضاء ، به نستطيع أن نرى رؤيا العيان أعمال الله كلها متصلة فى كل أيام الخلقة . وقبلا كان على الغمر (القلب) ظلمة تحيطه من كل جانب أما الآن فالنور الجميل والساطع يحتضنه ، هذا نور أنار حياتنا وطرقنا فكشف خباياها .

٤ — ورأى الله النور أنه حسن

. . . هو نور معرفة ابن الله . . .

الله الصانع الحكيم . صمم . ثم أمر الشىء ليكون فكان . ثم رأى الذى صنعه فكان حسناً نائلا الرضي والقبول ، وهل لا يحسن فى عينيه ما يصنعه بيمينه ! ألم تحسن فى عينيه أعمال يدى الخاطىء لما تكون خيراً يصنعه من أجله ؟ فكيف لا تحسن أعمال يديه الكليتى الطهر والقداسة من أجل الإنسان . . ثم أنه نور ، قد صنعه لكى تجنى منه فوائد ومنافع ، وإذا بهذه الفوائد موجودة واكيدة والحسن فى عينى الله هو الثمر والنتيجة الحسنة ، وإتمام الغاية التى يقام لها . . من أجل هذه الأسباب ايضاً والإنسان راكع بركبتيه أمام عرش النعمة ، يفتح

عينيه فى انسحاق وانكسار قدامه ، فيراه نوراً فى منتهي الحسن والجمال ، فاذا كان الله صاحب الأعين الطاهرة رآه جميلا ، ألا يرى الإنسان العابد أن كل اعمال الله مكتسية بثوب من البهاء والحسن فائقين جداً . . . ثم ماذا . . . لعلى لم ادرك هذا الحسن أو لم احسه . . . فليكن لى تسليم الاطفال يارب ، كل ما تراه حسناً فى عينيك ، ليكن حسناً فى عينى أيضاً ، ولو لم اعلم سبباً لحسنه . . . ثم سرعان ما تنسكب دموع الفرح والسلام ... إنه حسن جداً يارب ، لأنى الآن اراه كذلك ، إنى احس بجماله ، واتادى بما احس . . . فما أعظم أحكامك عن الفحص وطرقك عن الاستقصاء .

وفصل الله بين النور والظلمة ـ وهذا النور الجميل الحسن — جعله يتميز عن الظلمة الشاملة التى جثمت على أرض خربة وخاوية — وفصل الله بين النور والظلمة حتى إذا ما لحق فجر النور بذيول الظلمة ولت هاربة أمامه — فحينئذ يظهر مجده بهياً — ونوره زاهياً — وكان هذا الفصل لازما لأنه لم يكن ممكناً الجمع بين الأعداء — طبعاً وعملا — وأية شركة للنور مع الظلمة — لكن النور يضىء فى الظلمة — والظلمة لاتدركه — هذه الظلمة التى كان لها سلطان الزمن على الخليقة الخربة — انحسرت اليوم — وساد عليها النور — فتميز النور باعماله عن الظلمة باعمالها — وأصبح فى العالم معسكران — النور والظلمة — فالنور خطر على الظلمة ومهدد لها — فاضح لدهشتها ومشهر لنجاستها — والظلمة تظهر النور وتميزه — لكن شكرا لله لأنه هو القائد لجيوش النور . الله الساكن فى النور الأعظم .

ثم إن هذا النور الذى خلق فى اليوم الأول ـ كما قلنا ـ يشبه إلى حد بعيد نور المسيح لما يشرق على قلب خاطىء لما يستيقظ من بين الأموات . على أن ظلمة الليل الذى يلحق هذا النور دامسة جداً . بلا قمر ولا نجوم . لذلك كان حرص الراجعين حديثاً الى حظيرة الايمان شديدة لئلا يلحق بهم الليل من جراء تهاون او عدم سهر . ولكن شكراً لألهنا فانه يشفق علينا وسريعاً ما يشرق علينا بهاء اليوم التالى . لأن فؤاده حنون يرق للانسان

٥ — ودعا الله النور نهارا والظلمة ليلا وكان مساء . وكان صباح يوما واحدا

ورب الأيام .. وملك السنين ، يطلق الأسماء على مسمياتها . فهذا نهار . على الفترة

لأن بقية الأجرام السماوية لم تحتل مكانها فى الفضاء للقيام بوظيفتها كاملة . وهذه الأنوار لم تكن مركزه محددة . لكنها مختلطة غير منتظمة . على أنه إذا ماسمحت الغيوم المحيطة بالأرض للأنوار أن تصل الى الأرض أصبح الوقت نهارا . واذا سادت الغيوم الجو، أصبح الوقت ليلا ، بلا قانون أو حكم ثابت . فهذا هو اليوم في طفولته .

هذا هو اليوم الأول من الخلق . فما هو هذا اليوم . وكم مدته . مما سبق نستطيع أن نجزم أنه لايمكن أن يكون ٢٤ ساعة ذلك لأن الذى يسيطر على الليل والنهار للآن هو الأبخرة المتكثفة التى بلا ضابط . والمعقول جداً أنه يعنى مدة من الزمن قد تمتد الى آلاف السنين . والدليل على ذلك أن سفر التكوين نفسه تكلم عن مدة الأيام الستة كلها وقال عنها « يوم خلق السموات والأرض » . على أن هذا التفسير لم نلجأ اليه احتيالا لكى نتخلص من المأزق الذى يظن أننا أصبحنا فيه بعد ماتكلم علم طبقات الأرض عن عمر الأرض الذى يمتد الى ملايين السنين ، بل انه تفسير يلجئنا اليه نص الكتاب وعبارته . والدليل على ذلك ؛ أنه قبل مايظهر علم الجيولوجيا أو دعانه ذهب هذا المذهب فى التفسير القديس أثناسيوس الرسولى ، والعلامة أورجانوس ، والقديس أوغسطينوس . على أن الاكتشافات الحديثة قد تلقى ضوءاً على بعض غوامض الكتاب فتفسر تبعاً لهذا الاكتشاف فيكون التفسير حينئذ ليس تخلصاً ولكن آن الأوان لكى يوضح . وعلى سبيل المثال لما قال الكتاب « وروح الله يرف على وجه المياه» فقبل العصور الحديثة ليس هناك من تفسير صحيح لهذه الآية ، ومرماها الصحيح أصبح مستوراً الى أن اتضح أن الحياة ظهرت أولا فى الماء فحينئذ رجعنا الى الكتاب فوجدناه يجيب بالموافقة لأن روح الله كان يرف على المياه من قبل اليوم الأول . وفى ذات الوقت تبارك الله الذى يعلن حقائق فى منتهى الخطورة ، يقرؤها الجاهل فلا تعثره ويقرؤها المتعلم فيرى خلال كلماتها أشعة نور العلم الألهى الذى لاشاطىء للجتة على أن موسى يذكر أن هذا اليوم محدد بمساء وصباح . ولسنا نظن هذا إلا كناية عن المدة التى أتم الله فيها عمله . مبتدئة بالمساء . ولو كان المقصود منها فعلا المساء والصباح بحصر اللفظ . فلماذا يدعوها موسى بهذه الأسماء وهو نفسه يذكر أن الله أسماها ليلا ونهاراً .. ثم ثالثاً أين الشمس التي تنظم الأوقات ؟

لذلك نستطيع أن نشكر علم الجيولوجيا الى حد ما لأنه وضع حدا لاختلاف المفسرين

بخصوص هذا الاصحاح خصوصاً فى معنى كلمة « يوم » ذلك لأن كثيرين قالوا إنه يوم بأربع وعشرين ساعة — وكثيرين ايضاً قالوا إنه مدة غير محدودة قد تمتد إلى آلاف آلاف السنين — أما الآ .. — فالرأى الاخير أصبح حقيقة لا يختلف فيها اثنان — هذا ليس خوفاً من علم الجيولوجيا فأطعناه — ولكن تعاوناً معه فاستخدمناه .

والحقيقة الروحية المهمة إنه منذ أن ظهر النور — وهذه هي قاعدة الحياة — « وكان مساء وكان صباح » وهل ظننت أن حياتك ستكون دائمة الإشراق والسعود منذ أن أمر المسيح إلهك أن يشرق عليك نور معرفتك — فتسبح في جو نعيمه الاطمئنان الروحي الجميل — بالحسن والبهاء — فأشتهى أن يكون هناك على الجبل ... دائماً — لكن الرب لم يقبل لأن جثسيمانى والصليب ينتظرنا مع مخلصنا .. فى العالم سيكون لنا ضيق .

نعم إن الواقع يعلمنا أننا كثيراً ما تخلينا عن جزء من حياة التعبد والاهتمام بخلاصنا لكى نهتم بحاجات القريب — فنحمل آلام اخوتنا — وفى صدورنا قلوبنا المحزونة من أجل اخوتنا ثم تمسى علينا الأيام ... فنركع — وبعيوننا تترقرق دمعة الحزن المقدس على قتل « بنت شعبى » .. وكان مساء وكان صباح يوماً واحداً .

(يتبع بنعمة المسيح)

الدكتور راغب عبد النور

■ شكا الينا بعض حضرات المشتركين ، من أن كثيرا من أعدادهم لا تصل اليهم . والمجلة إذ ترجو حضراتهم أن يخطروها بذلك كى ترسل اليهم أعدادا أخرى بدلا من تلك التى تفقد ، ستتصل بمصلحة البريد لتعرف سبب ذلك وتلافيه .

■ سألنا الكثيرون عن الثمن الذى تقدم به المجلة كتاب « نداء الطفولة » الذى نشر عنه فى العدد الماضى — والمجلة تعلن أن الثمن الأصلى للكتاب ٤٠ قرشا وأنها — بالاتفاق مع الأستاذ المؤلف — تقدمه لحضرات المشتركين بنصف الثمن أى بعشرين قرشا

■ إدارة مجلة مدارس الاحد مستعدة أن تشترى نسخا من العدد الأول (ابريل ١٩٤٧) ، أو تستبدلة بأى عدد آخر من أعداد المجلة

■ حدث خطأ مطبعى فى صفحة ٤١ ، اذا وضعت كلة « علم نفس » بدلا من « عزة نفس » فى السؤال الأول

■ سقط من فهرس هذا العدد عنوان مقالة « ماذا استفدت من دراستى للرهبنة » وهو يقع بعد مقالة « طقوس المعمودية » وكذلك حدث خطأ مطبعى فى صفحة ٤١ ، إذ وضعت كلة « علم نفس » بدلا من « عزة نفس » فى السؤال الأول